الوافي في الوفيات

جيشٌ من التّـُرك ترك الحرب عندهم ... عارٌ وراحتهم ضربٌ من الضّـَرب .
خاضوا إليها الرّـَدى والبحر فاشتبه ال ... أمران واختلفا في الحال والسّـَبب .
تسنّـَموها فلم يترك تسنّـُمهم ... في ذلك الأفق برجاً غير منقلب .
تسلّـَموها فلم تخل الرقاب بها ... من فتك منتقمٍ أو كفّـِ منتهب .
أتوا حماها فلم يمنع وقد وثبوا ... عنها مجانيقهم شيئاً ولم تثب .
يا يوم عكا لقد أنسيت ما سبقت ... به الفتوح وما قد خطّـَ في الكتب .
لم يبلغ النّـُطق حدّـَ الشكر منك فما ... عسى يقوم به ذو الشعر والخطب .
كانت تمنّـِي بك الأيام مبعدةً ... فالحمد نلنا ذاك عن كثب .
أغضبت عبّـاد عيسى إذ أبدتهم ... أيّـُ رضىً في ذلك الغضب .
وأطلع ا جيش النصر فابتدرت ... طلائع الفتح بين السّـُمر والقضب .
وأشرف المصطفى الهادي البشير على ... ما أسلف الأشرف السلطان من قرب .
فقرّـَ عيناً بهذا الفتح وابتهجت ... بفتحه الكعبة الغرّـاء في الحجب .
وسار في الأرض سير الريح سمعته ... فالبـّـُر في طربٍ والبحر في حرب .
وخاضت البيض في بحر الدماء وما ... أبدت من البيض إلاّـَ ساق مختضب .
وغاص زرق القنا في زرق أعينهم ... كنها شطنٌ تهوي إلى قلب .
توقّـَدت وهي غرقى في دمائهم ... فزادها الطّـَفح منها شدّـَة اللهب .
أجرت إلى البحر بحراً من دمائهم ... فراح كالراح إذ غرقاه كالحبب .
وذاب من حرّـِها عنهم حديدهم ... فقيّـَدتهم به ذعراً يد الرّـَهب .
تحكّـَمت وسطت فيهم قواضبها ... قتلاً وعفّـَت لحاويها عن السّـَلب .
كم أبرزت بطلاً كالطّـَود قد بطلت ... حواسّـُه فغدا كالمنزل الخرب .
كأنه وسنان الرمح يطلبه ... برجٌ هوى ووراه كوكب الذّـَنب .
بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت ... بك الممالك واستعلت على الرّـُتب .
ما بعد عكّـا وقد لانت عريكتها ... لديك شيءٌ تلاقيه على تعب .
فانهض إلى الأرض فالدّـنيا بأجمعها ... مدّـَت إليك فواصلها بلا نصب .
كم قد دعت وهي في أسر العدى زمناً ... صيد الملوك فلم تسمع ولم تجب .
أتيتها يا صلاح الدين معتقداً ... بأنّـَ داعي صلاح الدين لن يخب .
أسلت فيها كما سالت دماؤهم ... من قبل إحرازها بحراً من الذهب .

أدركت ثأر صلاح الدين إذ غصبت ... منه لسرٍّ طواه ا في اللَّقب .
وجئتها بجيوشٍ كالسيول على ... أمثالها بين آجامٍ من القضب .
وحطتها بالمجانيق التي وقفت ... إزاء جدرانها في جحفلٍ لجب .
مرفوعةً نصبوا أضعافها فغدا ... للكسر والحطم منها كلُّ منتصب .
ورضتها بنقوبٍ ذلَّلت شمماً ... منها وأبدت محيّاها بلا تعب .
وغنَّت البيض في الأعناق فارتقصت ... أبراجها لعباً منهن باللُّعب .
وخلَّقت بالدم الأسوار فانفغمت ... طيباً ولو لا دماء الخبث لم تطب .
وأبرزت كلَّ خودٍ كاعبٍ نثرت ... رؤوسهم حين زفوها بلا طربٍ .
باتت وقد جاورتنا ناشزاً وغدت ... طوع الهوى في يدي جيرانها الجنب .
بل أحرزتهم ولكن للسيوف لكي ... لا يلتجي أحدٌ منهم إلى الهرب